١٣- نبذة يسيرة من سيرة عثمان رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذه نبذة يسيرة جداً من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه(١)؛ خليفة رسول الله ﷺ الثالث، بإجماع المسلمين، وأفضل البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فهو ثالث الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي ﷺ في حقهم: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»(٢)، وهو الذي أثنى عليه النبي ﷺ وأثبت له الشهادة، كما في صحيح البخاري: «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ، وَقَالَ: «**اسْكُنْ أُحُدُ** - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - **فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»(٣)، وقال النبي ﷺ فيه: «**أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ**»(٤)، ومن سبَّه، أو انتقص من حقه، فهو أضل من حمار أهله؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٥).

ومن سيرته الجميلة الكريمة النماذج الآتية:

أولاً: مولده، وأعماله، ووفاته:

ولد في السنة السادسة بعد الفيل، وأسلم قديماً، وهو ممن دعاه الصِّدِّيق

---

(١) انظر سيرته بالتفصيل في: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مجلد سير الخلفاء الراشدين، ص ١٤٧- ٢٢٢ (مؤسسة الرسالة)

(٢) أخرجه الإمام أحمد، برقم ١٧١٤٤، وأبو داود، برقم ٤٦٠٧، والترمذي، برقم ٢٦٧٦.

(٣) رواه البخاري، برقم ٣٦٩٧.

(٤) رواه مسلم، برقم ٢٤٠١.

(٥) رواه البخاري، برقم ٣٦٧٣، ومسلم، برقم ٢٥٤٠.

إلى الإسلام، وقد كان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر، وعلي، وزيد بن حارثة، وهاجر الهجرتين: الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[١]، فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان أول خارج إليها، وتابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، ولم يشهد بدراً لتخلفه على تمريض زوجته رقية، كانت عَلِيلَةً، فأمره رسول الله ﷺ بالتخلف عليها، وضرب له ﷺ بسهمه وأجره، فهو معدود فى البدريين لذلك، وماتت رقية فى سنة اثنتين من الهجرة حين أتى خبر رسول الله ﷺ بما فتح الله عليه يوم بدر[٢]، وبعدها زوّجه أم كلثوم، ولم يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره[٣]، وقيل لعثمان ذا النورين؛ لأنه لم يعلم أن أحداً أرسل ستراً على ابنتي نبي غيره، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ[٤]، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن الكريم[٥]، وقد بويع له رضي الله عنه بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاثة أيام باجتماع الناس عليه، وفي هذه السنة فتح من حصون الروم حصوناً كثيرة [٦]، وفي سنة ست وعشرين زاد في المسجد الحرام، ووسَّعهُ، واشترى أماكن للزيادة، وفيها فتحت بعض الفتوحات.

وفي سنة سبع وعشرين غزا قبرص، وفيها فتحت بعض الفتوحات، وفيها فتحت إفريقية، ففتحت سهلاً وجبلاً، وفيها فتحت الأندلس، وفي سنة تسع وعشرين فتحت بعض الفتوحات، وزاد عثمان في المسجد النبوي، ووسعه،

---

(١) الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٧، و١٥٠.
(٢) الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٨.
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٨
(٤) الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٩.
(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٨.
(٦) الاستيعاب، ٣/ ١٠٤٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٥٣.

وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة، وسقفه بالساج، وفي سنة ثلاثين فتحت بلاد كثيرة من أرض خراسان، وفتحت نيسابور، ومرو، وفتحت بلاد واسعة[(١)]، وفي سنة خمس وثلاثين قتل عثمان رحمة الله عليه يوم الجمعة لأيام بقين من ذي الحجة، في أوسط أيام التشريق، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، وثمانية عشر يوماً، ويقال أربعة عشر يوماً، واختلف في سنه، فقيل: قتل وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل: قتل وهو ابن اثنتين وثمانين، ويقال أربع وثمانين[(٢)].

ثانياً: إنفاقه الأموال العظيمة الكثيرة في سبيل اللَّه تعالى:

كان عثمان ﷺ من الأغنياء الذين أغناهم الله ﷻ، وكان صاحب تجارة وأموال طائلة؛ ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله ﷻ ابتغاء مرضاته وما عنده، وصار سبَّاقاً لكل خير، ينفق ولا يخشى الفقر.

ومما أنفقه ﷺ من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال ما يأتي:

١- عندما قدم النبي ﷺ المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**»[(٤)].

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ المدينة لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٥٥- ١٥٦.
(٢) تاريخ خليفة، ص ١٧٦- ١٧٧، وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٥٦.
(٣) النسائي في كتاب الوصايا، باب وقف المساجد، ٦/٢٣٥، برقم ٣٦٠٥، وانظر: صحيح النسائي ٢/٧٦٦، وأخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب عثمان ﷺ، ٥/٦٢٧، برقم ٣٦٩٩، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/٢٠٩، وتحفة الأحوذي، ١٠/١٩٦، وفتح الباري، ٧/٥٤.
(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، ٥/٤٠٧، برقم ٢٧٧٨، ٧/٥٢، ٨/١١١، وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٥١.

عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ: «**تبيعنيها بعين في الجنة؟**» فقال: يا رسول الله! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمس وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «**نعم**» قال: قد جعلتها للمسلمين[١].

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع للمسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[٢].

٢- بعد أن بنى رسول الله ﷺ مسجده في المدينة فصار المسلمون يجتمعون فيه، ليصلوا الصلوات الخمس، ويحضروا خطب النبي ﷺ التي يُصدر إليهم فيها أوامره ونواهيه، ويتعلمون في المسجد أمور دينهم، وينطلقون منه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد، لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال ﷺ: «**من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة**» فاشتراها عثمان بن عفان ﷺ من صلب ماله[٣] بخمسة وعشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفاً، ثم أضيفت للمسجد[٤].

ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه[٥].

٣- عندما أراد رسول الله ﷺ الرحيل إلى غزوة تبوك حثّ الصحابة الأغنياء على البذل؛ لتجهيز جيش العسرة، الذي أعده رسول الله ﷺ لغزو الروم، فأنفق

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ٥/٤٠٧، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ١٠/١٩٦.
(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ١٠/١٩٠، وأعلام المسلمين لخالد البيطار، ٣/٣٩، وفتح الباري، ٥/٤٠٨.
(٣) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان ﷺ، ٥/٦٢٧، (رقم ٣٧٠٣)، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/٢٠٩، وأخرجه النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد، ٦/٢٣٥، (رقم ٣٦٠٦).
(٤) النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد، ٦/٢٣٤، (٣٦٠٥)، وانظر: صحيح النسائي، ٢/ ٧٦٦.
(٥) انظر: فتح الباري، ٥/٤٠٨، وأعلام المسلمين لخالد البيطار، ٣/٤١.

أهل الأموال من صحابة رسول الله ﷺ كل على حسب طاقته وجهده.

أما عثمان بن عفان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقد ثبت أنه أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ يُقلِّبها في حجره، ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم؟**» قالها مراراً(١).

وهذه نفقة عظيمة جداً تدل على صدق عثمان وقوة إيمانه، ورغبته فيما عند الله– تعالى – وإيثار الآخرة على الدنيا – فرضي الله عنه وأرضاه – فقد حصل على الثواب العظيم والجزاء الذي ليس بعده جزاء: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»(٢).

ثالثاً: موقفه العظيم في جمع الأمة على قراءة واحدة، وحسم الاختلاف:

كان من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها عثمان جمع شمل أمة محمد ﷺ على قراءة واحدة، فقد كان من مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في غزوة أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان، مع أهل العراق، وقد اجتمع في هذه الغزوة خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وأُبيّ بن كعب، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على عبد الله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف

---

(١) الترمذي، في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان ﷺ، ٥/٦٢٦، برقم ٣٧٠٠، والحاكم – واللفظ لـه – وصححه ووافقه الذهبي، ٣/١٠٢، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٧/٥٤، ٥/٤٠٨، ٨/١١١، وسيرة ابن هشام، ٤/١٧٢، والبداية والنهاية، ٥/٤، ٧/٢٠١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٥١، وحياة الصحابة، ٢/٢٦٤، ٢٦٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٣/٢٠٨، ٢١٠، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٣/٢٢٣، ٢/٣٥٣.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، ٥/٤٠٧، برقم ٢٧٧٨، وتقدم تخريجه، وانظر: البداية والنهاية، ٧/٢٠١.

يفضل قراءته على غيره، وربما خطَّأ الآخر أو كفَّره، فأدَّى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيئ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كفّ المنازعة، ودفع الاختلاف، فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها يستدعي بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

وعندما جاءت الصحف أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

وكانت المصاحف الأئمة سبعة كالآتي:

أرسل مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى اليمن، ومصحفاً إلى البحرين، ومصحفاً إلى البصرة، ومصحفاً إلى الكوفة، وأقر بالمدينة مصحفاً، وهذه المصاحف كلها بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمر عثمان وزمانه وإمارته، وحرق ما سوى

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٩/١٠، ١١، برقم ٤٩٨٧، وكتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ٨/٣٤٤، برقم ٤٦٧٩، والبداية والنهاية، ٧/٢١٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٧.

هذه المصاحف مما بأيدي الناس مما يخالف هذه المصاحف السبعة، وأجمع الصحابة على ذلك عند الشورى بالرسم، وعند التلقي فاجتمع شمل الأمة على هذه المصاحف ولله الحمد والمنة[1].

فحصل الاجتماع والائتلاف، وزال الاختلاف والفرقة، واجتمعت القلوب بفضل الله– تعالى –، ثم بفضل حكمة عثمان – رضي الله عنه وأرضاه –.

فرضي الله عنه وأرضاه، وهذا غيض من فيض، وإلا فهو أفضل السابقين الأولين بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

حرر في ١١/٧/ ١٤٣٣هـ.



(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٧/٢١٧، وفتح الباري، ٩/٢٠.
والفرق بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من الفتنة والهلاك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد.
انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٩/٢١، وتاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي، ص٧٧.